ملحق :

إسلام الإخوان المسلمين

يقول الإمام الشهيد حسن البنا فى « رسالة المؤتمر الخامس » :

« اسمحوا لى أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير ، ولست أعنى به أن للإخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه ، وإنما أعنى أن كثيراً من المسلمين فى كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم ، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً - مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية - فاختلفوا فى معنى الإسلام اختلافاً عظيماً ، وانطبعت للإسلام فى نفوس أبنائه صور عدة تُقرِّب أو تُبعِّد أو تنطبق على الإسلام الأول الذى مثّله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل .

فمن الناس مَن لا يرى الإسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة فإن أدّاها أو رأى مَن يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضى به وحسبه قد وصل إلى لُبِّ الإسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين .

ومن الناس مَن لا يرى الإسلام إلا الخُلُق الفاضل والروحانية الفيّاضة ، والغذاء الفلسفى الشهى للعقل والروح ، والبُعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة .

ومنهم مَن يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعانى الحيوية العملية فى الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبه التفكير فى سواها .

ومنهم مَن يرى الإسلام نوعاً من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التى لا غناء فيها ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام ،

وتجد هذا المعنى واضحاً فى نفوس كثير من الذين ثُقفوا ثقافة أجنبية ، ولم تُتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية ، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً أصلاً، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة مَن لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

وتحت هذه الأقسام جميعاً تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيراً ، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعانى جميعاً .

هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد فى نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافاً بيناً فى فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم .

فمن الناس مَن يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقدِّم للناس العظات ، فتزهِّدهم فى الدنيا وتذكِّرهم الآخرة .

ومنهم مَن يتصور الإخوان المسلمين طريقة صوفية تعنى بتعليم الناس ضروب الذِكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة .

ومنهم مَن يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها ، وتحمل الناس عليها ، وتخاصم أو تسالم مَن لم يُسلِّم بها معها .

وقليل من الناس خالطوا الإخوان المسلمين وامتزجوا بهم ، ولم يقفوا عند حدود السماع ، ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلاماً يتصورونه هم ، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شئ عن دعوتهم علماً وعملاً .

ولهذا أحببتُ أن أتحدث لحضراتكم فى إيجاز عن معنى الإسلام وصورته الماثلة فى نفوس الإخوان المسلمين ، حتى يكون الأساس الذى ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحاً جلياً :

١ - نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون فى هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف. والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصى بالإحسان فيه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١).

وإنك تقرأ فى القرآن وفى الصلاة إن شئتَ قول الله تبارك وتعالى فى العقيدة والعبادة : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ (٢) .

وتقرأ قوله تعالى فى الحكم والقضاء والسياسة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٣) .

وتقرأ قوله تعالى فى الدين وفى التجارة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ ، وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً ، فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالعَدْلِ ، وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ ، فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ، وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) البينة : ٥ (٣) النساء : ٦٥

أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِه ، ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّه وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُواْ ، إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ، وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُم وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (١) .

وتقرأ قوله تعالى فى الجهاد والقتال والغزو : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَو تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ ، وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (٢) ... إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة فى هذه الأغراض نفسها وفى غيرها من الآداب العامة وشؤون الاجتماع .

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل ، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً ، أما إذا أسلمت فى عبادتها وقلّدت غير المسلمين فى بقية شؤونها ، فهى أمة ناقصة الإسلام تضاهئ الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة : ٢٨٢ (٢) النساء : ١٠٢ (٣) البقرة : ٨٥

٢ - إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب اللّه تبارك وتعالى وسُنّة رسوله ﷺ ، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً ؛ وأن كثيراً من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها . ولهذا يجب أن تستقى النُظم الإسلامية التى تُحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السَلَف الصالح رضوان اللّه عليهم ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيِّد أنفسنا بغير ما يقيِّدنا اللّه به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والإسلام دين البَشرية جميعاً .

٣ - وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة فى كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان ، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصاً فى الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية فى كل شأن من هذه الشؤون ، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير فى حدودها .

ولضمان الحق والصواب فى هذا التطبيق أو تحرِّيهما على الأقل ، عنى الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهى مصدر النُظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل ، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسلها من أدران الغرض والغاية ويهديها إلى الكمال والفضيلة ، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان ؛ وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً . يقولون إن العدل ليس فى نص القانون ولكنه فى نفس القاضى ، وقد تأتى بالقانون الكامل العادل إلى القاضى ذى الهوى والغاية فيطبقه تطبيقاً جائراً لا عدل معه ، وقد تأتى بالقانون الناقص والجائر إلى القاضى الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقاً فاضلاً عادلاً

فيه كل الخير والبِّر والرحمة والإنصاف . ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى فى كتاب الله ، وكانت النفوس الأولى التى صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنسانى ، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم ، وتتسع لكل الأغراض والمطالب ، ولهذا أيضاً كان الإسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأُصوله العامة .

لا أحب أيها السادة أن أسترسل فى هذا البيان فذلك باب واسع وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقى ضوءاً على هذا المعنى العام للفكرة الإسلامية فى نفوس الإخوان المسلمين .

* * *

فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعانى الإصلاحية

كما من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها ، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك ، إن الإخوان المسلمين :

(١) دعوة سَلَفيّة : لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسُنّة رسوله .

(٢) وطريقة سُنِّيّة : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسُنّة المطهّرة فى كل شئ ، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

(٣) وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، والحُب فى الله ، والارتباط على الخير .

(٤) وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أنَّ المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن النبى ﷺ يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » [١] ، وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفِرَقهم الرياضية عناية تضارع - وربما فاقت - كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها.

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هى فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذى يقول نبيه ﷺ : « نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح » [٢] ، ويقول : « مَن أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » [٣] ، « إنَّ الله يحب المؤمن المحترف » [٤] .

(٨) وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

---

(١) متفق عليه عن عبد الله بن عمرو .

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه عن عمرو بن العاص .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس واسناده ضعيف . كما فى « التيسير » للمناوى

(٤) رواه الحكيم الترمذى والطبرانى والبيهقى فى الشُعَب عن ابن عمر وهو ضعيف كما فى « التيسير » .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح ، ووجَّه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى ، وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض .

فقد يرى الناس الأخ المسلم فى المحراب خاشعاً متبتلاً يبكى ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الآذان بزواجر الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمى بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه فى متجره أو معمله يزاول صناعته فى أمانة وفى إخلاص. هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض ، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحضُّ عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعانى الانسجام ، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل مايؤخذ على هذه النواحى من المآخذ ومواطن النقد والتقصير .

كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو « الإخوان المسلمون » (انتهى من رسالة المؤتمر الخامس للإمام حسن البنا) .

* * *